

## في الفلسفة الإرسومية

## إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقي

— ٤ —

## النفس الإنسانية

تستمد النفس الإنسانية قوتها من النفس الكلية ؛ ومراتب النفوس ثلاثة أنواع : منها مرتبة الأنفس الإنسانية ، ومنها ما فوقها وما دونها . والمعروف من هذه النفوس خمس ، تأتي فوقها اثنتان : رتبة الملكية ، ورتبة القدسية ؛ فرتبة الملكية هي رتبة الحكمة ، ورتبة القدسية هي رتبة النبوة . والتي دونها اثنتان : النفس الحيوانية والنفس النباتية

ومن الأخلاق والقوى ما ينسب إلى النفس النباتية الشهوانية، ومنها ما ينسب إلى الحيوانية الفضيحة ، ومنها ما ينسب إلى النفس الإنسانية الناطقة ، ومنها ما ينسب إلى النفس العاقلة الحكيمة ، ومنها ما ينسب إلى القدسية<sup>(١)</sup> . فالنسب إلى النباتية : الغذاء ، والرغبة في الشروريات ، والحرص في طلب الشهوات . والنسب إلى الحيوانية الفضيحة : الشهوة الجنسية ، والانتقام ، وشهوة الرئاسة ، وكل التراثر الشهوانية ، والمحافظة على بقاء النوع ؛ ويشترك في هذه الحيوان والإنسان . والنسب إلى النفس الناطقة : شهوة العلم والمعرفة ، والعز والرفعة . والنسب إلى الملكية والقدسية : شهوة التقرب لربها والزلنى لديه . والسبب في وجود هذه التراثر بنفوسنا أنه يوجد في الملول دائماً شيء من العلة ، فإن انعدم في الملول سبب أو غير ذلك قهي كما في الحيوان والنبات ؛ والله الذي هو علة الوجود حي باق لا يمرض له الفناء ، ولهذا صارت الوجودات محبة للبقاء كارهة للفناء ؛ ولهذا فالسعادة هي أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حاله وأتم

غايته لا ينقصه شيء ؛ حتى يكون شبيهاً بالإله

(١) ج ٢ من الرسائل من ٢٤٠ — ٢٤١ . وترى في تسميم النفس وإثر ذلك في الأخلاق آراء أفاطون مرددة

## التفسير

إذا ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركزة في الجبلة ، وكانت على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي من أجل ما ينبغي سميت خيراً ؛ ومتى كانت بخلافه سميت شراً . وإذا فعل الإنسان ذلك باختياره وإرادته على ما ينبغي ، بمقدار ما ينبغي ، من أجل ما ينبغي ، كان صاحبه محموداً ؛ ومتى كان بخلاف ذلك كان سفياً جاهلاً<sup>(١)</sup> وكل نفس خادمة للنفس التي أعلى منها ، وصالحها في امتثالها لأوامرها<sup>(٢)</sup>

## قوى النفس

والنفس الإنسانية قوى كثيرة تساعد على أن تصير عقلاً بالفعل ، وأفضلها القوى المفكرة لأنها تؤدي إلى المعرفة ، والمعرفة لباب حياة النفس . ونفس الطفل في أولها صحيفة بيضاء لم ينقش عليها شيء ، وكل ما تحمله إليها الحواس الخمس تتناوله القوة التخيلية وتجمعه ، ويجرى هذه القوة مقدم الدماغ ، ثم تدفعه إلى القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ ، وهي تميز بعضه من بعض وتعرف الحق والباطل ، ثم تؤديه إلى المحافظة التي يجراها مؤخر الدماغ . والقوة الناطقة تعبر عما في النفس بالألفاظ للسامعين ، أو تهديها بصناعة الكتابة ، فيكون للنفس خمس حواس باطنة تقابل الخمس الظاهرة<sup>(٣)</sup>

## الموت والحياة

الإنسان مكون من جسم ونفس روحانية ، والجسم يريد البقاء في الدنيا ، والنفس الروحانية تريد الرحيل إلى الآخرة<sup>(٤)</sup> ؛ وعلى هذا فالولت والحياة نوعان : جسدى ونفسانى ، والحياة الجسدية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد ، والموت الجسدى ليس

(١) رسائل ج ٢ ص ٢٤٧ وهذا تأثر إخوان الصفاء بمنعجب أرسطو في نظرية الوسط

(٢) يتل هذا رأى أفاطون في خضوع الشهوات والجزم التعرف من النفس للعقل وأن صلاحها في امتثال أوامرها . راجع R. L. Nettleship في كتابه : Lectures on the Republic of Plato

(٣) رسائل ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٥٠

(٤) ولهذا يقول إخوان الصفاء إن أعمال الانسان أنت متشوية متضادة كالولت والحياة والنوم واليقظة والعلم والجهل ... الخ فالصفات الرديئة تنسب للجسم والجنة تنسب للروح

وسمحت بإتلافه وفي هذا سعادتها (١)  
وموت النفس هو جهلها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ،  
والنفوس السعيدة هي التي قطعت أيام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة  
وسارت سيرة عادلة ، وتخلقت بأخلاق جميلة ، وبحمت عن حقائق  
المعقولات وأحكمتها ؛ فإذا ما بلغت آخر العمر اشتاقت إلى مفارقة  
هذه الحياة ، فلم يكن الموت لما أمكنها الصعود إلى ملكوت  
السماء ولا الوصول إلى الجنة (٢)

وعلى العكس من ذلك نفوس الأشقياء ، فإنها بما اعتادته من  
لذات هذه المحسوسات ، وقد تمتعت الوصول إليها والعودة للجسم  
تقول : « يا ليتنا نردُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل » وتبقى متأللة  
بذاتها معذبة من سوء عاداتها دون فلك القمر  
وعلى هذا فالنفوس البشرية الخيرة ملائكة بالقوة ، فإذا فارقت  
أجسادها كانت ملائكة بالفعل . والنفوس الشريرة شياطين بالقوة  
فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل (٣)  
أما يوم القيامة ونهاية العالم فيكون بمفارقة النفس الكلية  
للعالم ورجوعها إلى الله (٤)

### الله والعالم

لما كان الله تام الوجود كامل الفضائل غالبا بالكائنات قبل  
كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يمحى  
تلك الفضائل في ذاته فلا يوجد بها وفيضها ؛ فإذا بواجب الوجود  
قد أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض النور والضيء من عين  
الشمس (٥) . والله سبحانه لا يباشر الأفعال بذاته ، بل يقتصر  
على الأعمال الكلية ، أما التفصيلات فيدفعها للملائكة الموكلين  
« وما أمرونا إلا واحدةً بآيةٍ بالبصر » ، ويقول تعالى كذلك :  
« وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » . ونسبة الأفعال  
التي تجري على أيدي عباده إلى الباري سبحانه كنسبة أفعال

شيئاً سوى تركها استعماله ؛ كما أن اليقظة ليست شيئاً سوى استعمال  
النفس الحواس ، وليس النوم شيئاً سوى تركها استعمالها ،  
أما النفس فحياتها ذاتية لها ، وذلك أنها بجوهرها حية بالفعل  
علامة بالقوة فعالة في الأجسام والأشكال ، وموتها هو جهالتها  
بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، وذلك عارض لها من شدة  
استغراقها في بحر الهوى ، فكما أن ولادة الطفل ليست شيئاً  
سوى خروجه من الرحم ، فكذلك ولادة النفس ليست شيئاً سوى  
مفارقة النفس إياه ، والنفس لا تعرف السعادة إلا بعد ما تفارق  
الجسم ، وعلى ذلك قالوا حكمة لأنه سبب حياة الأبد (٦)

وبعد مفارقة النفس الجسد تبقى الشقية هائجة بهمومها معذبة  
دون فلك القمر ، سائجة في بحر الهوى ، هاوية في عالم الكون  
والفساد مع أبناء جنسها من الأمم الخالية لإخوان الشياطين وجنود  
إبليس أجمعين : « كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَحَنَتْ أَهْلَهَا »  
وهذه هي جهنم عند إخوان الصفاء ، وتمام يتأبسون فلاسفة  
اليونان والمسلمين في قولهم يحشر الأزواج دون الأجساد ، وأن  
العذاب عذاب الروح لا الجسد . ولقد رد عليهم الغزالي في تهافت  
الفلسفة رداً لا بأس به

أما النفوس الخيرة عند إخوان الصفاء فتصمد إلى عالم الأفلاك  
وتصير ملائكة بالفعل ، وهذه هي الجنة عندهم ؛ والثواب هنا  
ثواب زوحي لا جسدي . ولقد فصل الفارابي هذه النظرية في مدينته  
القاضية ووضحها ابن سينا في النجاة والشقاء

### طوار النفس

يستند إخوان الصفا اعتقاداً جازماً بأن الأجساد حبس للنفوس  
أو حجاب لها أو صراط أو برزخ ، والنفوس تعلم تمام العلم بأن  
لها وجوداً آخر خيراً وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء  
التي مع الجسد ، فإذا استتمت الأنفس الجزئية وكلت صورتها  
ومعارفها ، واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بقربتها في هذا  
العالم الجسائي وأنها في أسر الطبيعة نائمة في بحر الهوى ، وعرفت  
فضيلة جوهرها ونظرت إلى عالمها ، وشاهدت تلك الصور الروحانية  
المفارقة للعادة ، إذا أدركت هذا كله هانت عليها مفارقة الجسد

(١) رأى إخوان الصفاء في النفس وخودها ورجوعها بعد إتمام كلامها  
في هذه الحياة الدنيا هو الرأي الذي أوضحه ابن سينا في قصيدته

هبطت إليك من المحل الأربع ورفاه ذات تبادل وتمتع

(٢) رسائل ج ٣ ص ٦١

(٣) الرسائل ج ٣ ص ٩٤

(٤) رسائل ج ٢ ص ٤١

(٥) رسائل ج ٣ ص ١٩٧ . وأنت ترى من هنا أنهم يقولون

بنظرية الفيض على طريقة الأفلاطونية الحديثة وقد تكلمت عنها آنفاً

للوك إذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا ، وحفر نهر كذا ، فهؤلاء اللوك قد أمرهوا فقط ، أما مباشرة العمل فترك لغيرهم<sup>(١)</sup> وعلم الله تعالى محيط بما يحوى العقل من العقولات ، والعقل محيط بما يحوى النفس الكاية من الصور ، والنفس محيط بما يحوى الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيط بما يحوى الهيولى من المصنوعات<sup>(٢)</sup>

### تأثير إخوان الصفا

قد دينا سابقاً تلك اللبابة المنظمة التي قام بها إخوان الصفا لحل الناس على الاخلول في مذهبهم ، وقد أدى نشر هذه الرسائل الآتفة الذكر إلى نشر الفلسفة ومبادئها ، واشتغال الناس بها ؛ إذ كتبها بلغة سهلة تناسب عقلية الجمهور ، ومزجوها بالدين مقتبين كثيراً من آى القرآن الكريم حتى لا يتفرون منها ، ووضعوا فيها مبادئ عامة من كل فن ، فكانت من الوجهة العلمية موسوعة احتذى حذوها كثير من المؤلفين فيما بعد

وقد حملت الرسائل على رجال الدين والفقهاء ، وأدى ذلك إلى اشتغال كثير من هؤلاء بالرد عليهم وتكفيرهم كبن تيمية وابن حجر وغيرهما . ثم إن رسائل إخوان الصفا كانت أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة ، تلك الخطة التي اقتناها الفارابي وابن سينا وابن رشد فيما بعد ، والتي تأثروا فيها بإخوان الصفا كما تأثر هؤلاء بالأفلاطونية الحديثة بعد أن تنصرت وقلها السريان إلى لغتهم محاولين أن يتخذوا منها دعامة لتأييد مذاهبهم المتعددة ...

والرسائل كانت دستوراً لطائفة الإسماعيلية كما رأينا من قبل فيها رموز وإشارات واصطلاحات لا يعرفها إلا الأتباع المخلصون . على أن هناك طائفة ممن اشتهروا بالعلم والفلسفة قد تأثروا بهم ومنهم : أبو حيان التوحيدى ، وقد عرفنا أنه كان الصلة بين جماعة البصرة وجماعة بغداد ، وقد آتهم بلزندقة من أجل ذلك ، حتى جاء في طبقات الشافعية ما يأتي : « زادقة الإسلام ثلاثة :

(١) رسائل ج ٢ ص ١٠٦ ، وأنت ترى كيف أنهم يؤولون ظاهراً آيات القرآن ، وقد أقرروا بأن لقرآن أغراضاً أخرى غير التي يفهمها الناس وقولهم بأن الله لم يخلق العلم مباشرة يارض البعيدة الاسلامية ، وقد رد عليهم التزالي في تهافت الفلاسفة  
(٢) رسائل ج ٢ ص ٩٨

ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى وأبو الملاء للمرى ، ومنهم يحيى بن عدى<sup>(١)</sup> المترجم المشهور والذي كان أحد أعضاء فرقة بغداد ، وقد نشرت له مجلة اللغات السامية الأمريكية كتاباً في تهذيب الأخلاق تشبه تعاليمه ما عند إخوان الصفا في كثير من الموضوعات : ومنهم كذلك جماعة بغداد ورؤسهم السجستاني أبو سليمان وقد رأينا كيف أن أبا حيان قد أخذ رسائل إخوان الصفا وعرضها عليه ؛ وعرفنا ما قاله أبو الملاء المرى فيهم عند منادرتة بغداد وكيف سبهم إخوان الصفا نعم إن النزالي يعرض بفلسفة إخوان الصفاء ، ويمدعا فلسفة العامة من الناس ، بيد أنه لا يتخرج من الاقتباس منها ، وهو مدين لفلسفتهم بأكثر مما يعترف<sup>(٢)</sup>

عمره المسمى

( بيروت )

- (١) هو أبو زكريا يحيى بن عدى بن حيد ولد في تكريت سنة ٨٩٢م وتوفى في بغداد سنة ٩٧٤م وكان رئيساً لأساقفة الكنيسة القبطية ، وممثلاً لنشاط هذه الطائفة في المساهمة والنقل والترجمة  
(٢) أظن كتاب المنقذ من الضلال ص ١٤٠١٣ طبعة مصر عام ١٣٠٩م وحى بورص ١١٣ ترجمة أبي ربيعة ، ورسالة الطياوى التي أشرت إليها آنفاً

### مجلس مديرية أسوان

## إعلان

يعلن في المناقصة العامة عن توريد كراسات مختلفة لازمة لمعاهد التعليم بالمجلس ، وتطلب القائمة على ورقة دمنة من فئة الثلاثين ملياً من سكرتارية المجلس ، وآخر موعد لقبول العطاء يوم

٢٠ مارس سنة ١٩٤٢